

حتى كان الدم يتدفق من أعضائه المقدسة. وبما انه لم يكن يقوى على النهوض بسهولة بسبب رباطات يديه، كان الذين يتبعونه يلطمونه مسددين له الرِّفاسات بأرجلهم وسط قهقهات الجنود الذين كانوا وبتحريض من الشيطان، يظهرون وكأنهم فقدوا كلَّ إنسانية.

تضاعفت شفقة أكثر الأمهات حناناً لمشاهدتها هذه الهمجية. وأمرت ملائكتها بان يجمعوا الدم الذي كان يتسبب من ملكهم في الطرقات حتى لا يتدنس ، وان يمنعوا الجموع من أن يدوسوا بأرجلهم شخصه السَّامي، ولو كان هو يريد ذلك. وحتى تجعله يعطي موافقته على ذلكن رجته بواسطة الأمير السماوي أن يبذل فعل تواضعه هذا بفعل طاعة لاهمه. بدون شك، كان كل شيء معروف منها مسبقاً ولكن معرفة الله بالمستقبل لم تكن لتمنع هذه الاحتياطات الحكيمة.

كان القديس يوحنا والمريمات وبعض الأشخاص الآخرين الأبناء، بحالة من الحزن الشديد والدموع وخاصة المجدلية التي كانت غيرة أكثر من الباقيات. فيما تأسف بيلاطس جداً لان هيرودس أعاد إليه يسوع المسيح الذي كانت براءته تربكه، كما يربكه حقد اليهود، أرسل سراً العديد من الرِّسل والأصدقاء إلى رؤساء الكهنة ليعرض عليهم

ضده. كلَّ ذلك ويسوع صامت صمتاً مطلقاً. بينما كان هيرودس يحثه على الإجابة ويكتم غيظه محولاً إياه إلى السَّخرية، وجميع أتباعه يهزأون على مثاله من المخلص الوديع ويعاملونه كمجنون، فألبسوه ثوباً ابيض مخصَّص للمجرمين المطلوب تجنبهم، ولكن هذا الثوب كان بنظر العناية الإلهية رمز براءة المخلص الإلهي الكاملة.

وهكذا أعادوه إلى بيلاطس مخترقين موجات من الشعب الصَّاحب والهائج أكثر فأكثر. لان الذين كرموه من قبل لكونه المسيح كانوا يريدون الآن وهم يقذفون ضده الشُّتائم نقض تكريمهم السابق. ووسط هذا الصَّخب والعار كان يسوع يردد في قلبه بحب وتواضع وصبر لا مثل لهما هذه الأقوال التي كان قد قالها من قبل على لسان داود : أنا دودة ولست إنساناً، خزي ونفاية بني البشر المائتين.

لم تتبع الأمّ الحزينة ابنها الإلهي إلى قاعة هيرودس ولكنها برؤيا داخلية كانت قد عرفت جميع تفاصيل هذا المشهد. ولدى خروجه من هذا المجلس الدنيء التقت الأمّ والابن وتبادلا النظر بألم عميق وشفقة. وعبدت مريم يسوع وهو في هذا الثوب السَّري لأنها كانت تعرف رمزه ورافقته إلى بيلاطس. كان الأعوان الخونة يجرونه بالحبال بعنف رهيب

